وربما القهوة ، واحد ابن حرام والاخر ابن حلال وطيب ومحترم ، ومثقف ، وخريج جامعة (في عرفنا ان خريج الجامعة بصورة عامة لطيف ، ومهذب وانساني) . مع اي منهما يفضل المعتقل ان يتعامل : مع الذي يكيل له الصفعات ، وينهال عليه بالهراوي ويمارس معه العنف والقسوة قولا وعملا ، ام مع الذي يواجهه بالكلام المعسول والنصح الاخوي والشفقة وروح الصداقة والعطف ؟

هذا هو مدخل المسألة : جو نفسي معين يخلقه احد المحققين تحيط به الرهبة والرعب والقسوة ، ومناخ اخر يخلقه المحقق الاخر ، يسيرا نسبيا ومحتملا ، واذا ما انطلت الخدعة ، فان المعتقل سيتمنى ان يظل في كنف الصديق ، ويتمنى الموت للمحقق الاخر معتقدا انه هو الوحيد الذي يضرب ويعذب ويهدد ، واذا ما لاحظ عبر جولات التحقيق ان (صديقه) اللطيف هو وحش مفترس مع معتقل اخر ، بينما يلعب وحشه وعدوه دور الصديق فانه سيدرك اللعبة . هذا مع العلم انه سيدركها من أول مرة وبدون هذه الخبرة فيما لو فهم وضع المحققين واهدافهم معه .

أن التحقيق هو صراع سياسي يرتدي الاشكال المادية والنفسية ويظهر من خلالها ، ولانه صراع تناحري بين ايديولوجيتين ونقيضين فان المحقق سيستخدم اي أسلوب متاح بغية الحصول على المعلومات واسقاط المناضل ، ومن بين هذه الاساليب تتخرج الخدع والحيل ومظاهر السلوك المفتعل ، مع الضرب والتعذيب والقسوة ، مع اللطف واللين والاحترام ، مع الحرمان والاذلال والقهر ، مع الشفقة مع الارهاب مع المعلوم مع المجهول فتنتصب هذه المتناقضات امام المعتقل كقوى ، وعناصر قوى تهاجمه للاجهاز عليه ، وينتصب هو امامها بقدراته وصبره وحنكته وصلابته واستعداده للصمود : ايهما يقهر الاخر ؟.

ويتكثف الصراع احيانا في صراع بين شخصيتين

نفسيتين احداهما مسلحة بوسائل البطش والسلطة ، والامكانيات المادية والمعنوية وهي نفسية المحقق ، والاخرى مسلحة بسلاح ثوري ثقافي عقائدي يرتكز على عدالة القضية والاستعداد للدفاع عنها والموت من اجلها هذا الصراع يأخذ مداه في التحقيق من خلال مظاهر شخصيات اطرافه المحققين من جهة ، والمناضلين من جهة اخرى . فالنفسية التي ترتبك أو تعجز تسقط وتنهار أما على شكل انهاء التحقيق واغلاق الملف من وجهة نظر المحقق ، أو على شكل اعترافات وخيانات من جانب المعتقل .

وحتى يمارس هذا الصراع عمليا لابد من اساليب محددة وهادفة للمساس بالتكوين النفسي الفردي والاجتماعي للمعتقل ، والتعرف عليه ، وربما تكوينه من جديد أو تكوين بعض عناصره ، وهذا يتطلب خلق اجواء محددة وتأثيرات جسدية محددة ، ومظاهر سلوك من جانب المحققين ، ومحاصرة معنويات المعتقل للاجهاز عليها وتركيعه نفسيا ومعنويا ، وابراز هذه المؤثرات هي الحوارات ، والضرب والتعذيب ، وهذه كلها تستوجب أن يخلق مناخ او مناخات خاصة لممارستها ، واوسع اطار تمارس فيه هو اطار اللين والشدة بشكل متتالي أو متمازج يمارس من قبل نفس الشخص ، أو شخصين او اكثر في نفس الجولة أو جولات متعاقبة . وافضل تمثيلة لخلق هذا الوضع هو اسلوب الصديق الصدوق ، والعدو المتوحش .

فباللين يمكن خلق جو حواري ، يتم فيه الاخذ والعطاء ، وشرح الوقائع (مهما كانت بسيطة ، قريبة او بعيدة عن جوهر القضية) ومحاولة ايجاد للانسجام النفسي بين المحقق والمناضل . وفي اجواء اللين من السهل ابراز حجم القسوة ووحشيتها وخلق المقارنة بين وضعين وخيارين . في مناخ اللين وخاصة الذي يأتي بعد جولة ارهابية ، يمكن ممارسة النصح ، يمكن اجراء